الفصل الخامس

علاج الانفلات الأخلاقي في القرآن والسُنة

obeikandl.com

بعد أن تعرضنا في الباب السابق لأهم الظواهر السلبية السائدة في المجتمع المسلم والتي تُعتبر بمثابة الداء الذي تفشى في المجتمع وينتشر به كانتشار النار في الحطب، كان لابد أن نضع بين يدي القارئ الكريم البرنامج العلاجي لهذه الأمراض الاجتماعية والسلوكية.

تخيرنا لهذا الباب أهم السلوكيات والأخلاق القويمة التي وردت في القرآن والسنة بهدف مساعدة القائد المسلم الذي فقد التوازن في سلوكياته إما ناسياً أو متعمداً.

هنا نُذكِر "القائد المتوازن" بحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وسنتي".

هذا الحديث ينبغ لكل مسلم ومسلمة أن يضعه نُصب الأعين، لأن الحال الذي وصلنا إليه من تدن في المستوى الأخلاقي وانهيار للسلوك القويم سببه الرئيس هو "البعد عن كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم).

قبل الشروع في سرد هذا البرنامج العلاجي ينبغ للقائد المسلم المتوازن أن يعرف التالي:

الإسلام دين لا ينفصل عن الحياة.. الإسلام هو الحياة.

البُعد عن تعاليم الدين يساوي الانفلات الأخلاقي ومن ثَمّ ضياع الأمة.

العودة لإحياء السُنة وخُلُق الإسلام هو السبيل لنهضة الأمة واستعادة ريادتها بين الأمم.

obeikandl.com

برنامج التربية الأخلاقية المتوازنة في منظومة الإسلام

يشمل برنامج التربية الأخلاقية في الإسلام بشكل عام كل ما يتوافق مع طبيعة البشر والفِطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها. وقد شرع الإسلام قوانين وأحكام من شأنها أن تحافظ على إقامة الأخلاق في المجتمع الإسلامي، سواء بين أفراده بعضهم البعض أو بينهم جميعا وبين باقي المجتمعات الإنسانية باختلاف ثقافاتها وديانتها؛ وهذه الأحكام تضمن بقاء القيم الأخلاقية وحفظها من العبث مما يسمح للناس بالتعايش في سلم وتسامح وتعاون.

يشمل هذا البرنامج مجموعة من الأخلاق والقيم التي تعتبر كالشموس التي تهدي المسلم في طريقه ليحيا حياة متوازنة ينطلق فيها من خلال خير القيم والسلوكيات:

قيمة الإخلاص

الإخلاص[xii] وهي تلك القيمة التي تُعد الأساس الذي يقوم عليه كل ما يصدر عن المسلم من أقوال وأفعال فهي بمثابة الباعث الذي يقود المرء إلى العمل وتدفعه إلى إجادته وتعينه على تحمل المتاعب في العمل أو بذل الكثير من أجله.

إن ما افتقده المسلم من أخلاق وقيم في وقتنا الحالي يرجع إلى انعدام هذه القيمة، فالإخلاص إذا نُزع من العمل دخل الشيطان والرياء ليحولا كل عمل إلى أفعال لا يرضاها الله ورسوله ويبدأ الانحدار في منظومة الأخلاق بالكامل.

عمل المسلم كله قائم على النية، ولتصحيح اتجاهات القلب ضمان تجرده من الأهواء الصغيرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". (رواه البُخاري)

لكن هل معنى الحديث أن إخلاص النية في العبادات فقط؟

الإخلاص لا يقتصر فقط على العبادات، بل إن العمل في الإسلام كله قائم على النية كما أشار الحديث، فإن حتى اللذات التي تشتهيها النفس إذا صاحبتها النية الصالحة والهدف النبيل تحولت إلى قربات:

الزوج يواقع زوجته يريد أن يعف نفسه ويعف أهله ويصون دينه ودينها، فيكون في ذلك له أجر "وفي بُضع أحدكم صدقة".

الأب يطعم نفسه وأولاده وزوجته، له مثوبة بنية الخير التي تقارنه. عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (صلى الله عيه وسلم) قال له: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعله في فم امرأتك". (رواه مسلم)

طالب العلم يجتهد في تحصيل العلم مخلصاً نيته لله تعالى، إلا وفقه الله ورزقه النجاح ويسر له السبيل للتفوق، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنه". (مسلم)

إخلاص النية في طلب العلم هو الطريق للجنة.

حتى النوم الذي نأخذ فيه قسطاً من الراحة، مع إخلاص النية يكون عبادة لأننا نقصد به أن نتقوى ونستعيد نشاطنا لمواصلة أعمالنا في اليوم التالي.

فائدة :

صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعلانه عبادة متقبلة.
خُبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة إلى معاصٍ شائنة فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسارة .

obeikandl.com

قيمة العلم

"عِلم" كلمة من ثلاثة أحرف فقط لكن معناها عميق فبسببها تقوم الأمم ويرتفع شأنها وبانعدامها تختفي الأمم وتندثر. إن من عظمة دين الإسلام أنه الدين الوحيد الذي بدأ بزوغ رسالته "بالعلم".

إن أول ما نزل من آيات القرآن قول الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم):

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. (العلق: ١-٥)

فأمة "الإسلام" هي أمة "اقرأ"، فالمسلمين ارتفع شأنهم وانتشر دينهم بقيمة "العلم والعلماء".

وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم وتنوه بقيمة العلم وتعلن الحرب على الأمية الغافلة، وتجعل اللبنة الأولى في بناء كل رجل عظيم متوازن أن يقرأ وأن يتعلم. على الرغم من ذلك نجد أن نسبة

الأمية في مصر وحدها ٤٠% وهي أمية "القراءة والكتابة" غير أن أمية هذا الزمان هي أمية "ثورة تكنولوجيا المعلومات".

انشغل المسلم عن قيمة العلم التي بينها الله ورفع بها قدر العلماء. سما الله عز وجل بدرجات العلماء حتى قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (آل عِمران: ١٨)

لذلك أعز الله العلماء وآثرهم بكرامته وفضله قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه للفصل بين العباد: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا أن أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي" (رواه الطبراني)

على الرغم من المكانة العظيمة التي أعطاها الله للعلماء إلا أننا قد استهنا بهم واختفى من المجتمع المسلم مفهوم "القدوة الصالحة"، وحل محلها الهمجية والصوت العال وعدم الإنصات لصوت الحق.

لكن هل العلم يقتصر فقط على العلوم الشرعية التي تخدم الدين؟

إن العِلم الذي يُقبل المسلم عليه وتستفتح أبوابه بقوة ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية، فكل ما يوسع الأفق ويزيح السدود أمام العقل ليستزيد من المعرفة وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ويتيح له السيادة في العالم والتحكم في قواه والإفادة من ذخائره المكنونة، فذلك كله علم ينبغي التطلع له ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه. فالعلم حياة والعلم قوة وهذا الشمول دلت عليه آيات القرآن والسُنة.

هذا يعني أن طلب العلم لا يقتصر على العلوم الشرعية فقط وإنما التزود من المعارف أياً كانت بشكل عام. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". (رواه مسلم)

فكلمة علماً التي وردت في الحديث غير معرفة لتشمل كافة أنواع العلوم النافعة سواء دينية أو دنيونة شريطة توفر "الإخلاص" كما حددنا في القيمة السابقة.

المسلم المتوازن يتعلم الخير والحِكمة وكل علم يقي من الضرر وما يقرب للنفع، ولا شك أن في طليعة ما يجب معرفته وتعليمه للأطفال هو حق الله على الناس وحق الناس بعضهم على بعض فإن هداية السلوك إلى الصالح العام كبيرة الأثر في تنظيم الجماعات وتوجيه السياسات، بعد ذلك يأتي العلم الدنيوي الذي يوصل المسلم إلى إدراك عظمة الله من خلال التأمل في صنع الله في الكون من حولنا.

فائدة :

التعلُم والتعليم روح الإسلام ولا بقاء لجوهره ولا كفالة لمستقبله إلا بهما.
الناس في نظر الإسلام أحد رجلين: إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالِم يطلب المزيد.

obeikandl.com

قيمة العلم

من القيم التي تكاد تكون اختفت من المجتمع المسلم وأدى اختفائها إلى انهيار منظومة السلوكيات والخلل في توازن ثوابت الدين قيمة "الحياء". فالحياء أمارة صادقة على طبيعة الإنسان حيث إنه يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه.

لكن كيف نميز تلك القيمة من انعدامها في شخصية وآداب المسلم؟

عندما يكون المسلم يتحرج من فعل ما لا ينبغي أو تري حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق فهذا يعني أنه حيّ الضمير، نقي المعدن، زكي العنصر. وإذا رأينا الشخص صفيقاً بليد الشعور ولا يبالي ما يأخذ أو يترك فهو امرؤ لا خير فيه وليس له من الحياء وازع يعصمه من اقتراف الآثام وارتكاب الدنايا.

obeikandl.com

الحياء هو خُلُق "المسلم المتوازن"

وصى الإسلام أبناءه بالحياء وجعل هذا الخُلُق السامي أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن لكل دين خُلُقاً، وخُلُق الإسلام الحياء". (رواه مالك)

كما أشرنا في بداية الكتاب أن العقيدة والسلوك قرناء وإذا فُقِد أحدهما فُقِد الآخر فإن الحياء والإيمان كذلك. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رُفِع أحدهما رُفِع الآخر". (رواه الحاكِم)

هذا الحديث الشريف يُفصِل لنا ما نجده في يومنا هذا من خلل في الاعتقاد وتدن في الأخلاق، فالمسلم حينما يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ ويهبط من رذيلة إلى أرذل.

obeikandl.com

اختفاء الحياء هو مصدر كل الشرور في الخُلُق

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديث يكشف عن مراحل هذا السقوط والتدني في الأخلاق الذي يبتدىء بضياع الحياء وينتهي بشر العواقب. قال رسول الله (صلى الله علي وسلم):

"إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نُزِع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً مقتاً، فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً نُزِعت منه الأمانة، فإذا نُزِعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوَّناً، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوَّناً، نُزِعت منه الرحمة، فإذا نُزِعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً مُلعناً، فإذا لم تلقه إلا رجيماً مُلعناً نُزِعت منه ربقة الإسلام". (رواه ابن ماجة)

فما أعظم كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى، لقد شخص لنا النبي في هذه الكلمات الموجزة البليغة ما نشهده الآن في المجتمع المسلم. إن نزع الحياء من السلم يقوده إلى البُغض من الله والخلق وتضيع الأمانة ويصبح خائناً للعهد وللأمانة وبالخيانة يفقد الرحمة التي هي أساس الحب وفي نهاية

المطاف لا يجد إلا اللعنه من الله والخلق ومنهم من يكون مسلم بالاسم لا بالفعل.

إن قمة الحياء هي استحضار "مراقبة الله" فإذا أدرك المسلم أن الله يراقبه ومطلع على أفعاله ويستحضر عظمة الله في قلبه صارت أفعاله كلها متوازنة وصحيحة.

إن حق الله على عباده عظيم ولو قدروه حق قدره لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم ولباعدوا عن السيئات خجلاً من مقابلة الخير المحض بالجحود والخِسة.

عن ابن مسعود: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا نستحيي من الله يا رسول الله والحمد لله. قال: ليس ذلك. الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء". (رواه الترمذي)

هذه العِظة تستوعِب كثيراً من آداب الإسلام ومناهج الفضيلة منها:

تنزيه اللسان أن يخوض في الباطل.

غض البصر.

مراقبة الأذن أن تسترق سراً أوتستكشف خبئاً.

الامتناع عن أكل الحرام والقناعة بالطيب الميسور.

صرف الوقت في مرضاة الله.

الحياء بهذا الشمول هو الدين كله

فائدة :

إذا لم "تستح" فاصنع ما شئت

obeikandl.com

قيمة حُسن الظن

حُسن الظن[xiii] قيمة عظيمة من قيم الإسلام فليس أريح لقلب المسلم في هذه الحياة ولا أسعد لنفسه من حسن الظن، فيه يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس وتَكدر البال وتتعب الجسد.

حُسن الظن على مستويين:

أولاً: حُسن الظن بالله.
ثانياً: حُسن الظن بالناس.

أما حُسن الظن بالله فهو معيار حقيقي لإيمان المسلم، فلا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا أحسن الظن بربه.

في وسط عالم يملؤه المخاوف والقلق علي المستقبل تأتي هذه العبادة تمسح على قلوب الناس وتعلمنا أن نعيش بفكرة رائعة هي على قدر حسن ظنك بالله يحدث لك الخير ويبتعد عنك الشر.

obeikandl.com

فالقلق مانع من موانع السعادة ويؤدي إلى الإكتئاب والإحباط، والقلق والخوف هو مرض العصر.

هنا يأتي دور هذه العبادة "عبادة حُسن الظن" عبادة قلبية تنجي المسلم من مرض القلق، معنى حُسن الظن بالله عَزَّ و جَلَّ هو اعتماد الإنسان المؤمن على ربّه في أموره كلها، ويقينه الكامل وثقته التامة بوعد الله ووعيده، وإطمئنانه بما عند الله، وعدم الاتكال المُطلق على تدبير نفسه وما يقوم به من أعمال . لكن للأسف في عصرنا الحالي تكاد تلك العبادة أن تكون "اندثرت"، لانغماس المسلمين في بحور القلق، في حين أن الله تعالى قال في الحديث القدسي:

"أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء". (رواه البخاري)

فليفكر كل منا ما هو ظنه بربه؟

أحسن الظن بالله، فهو الكريم الرحيم الذي يعطي، الخير كله بيديه والشر ليس إليه. شباب المسلمين ممن يعانون ويئنون من البطالة، أحسنوا الظن بربكم سيرزقكم لكن توكلوا وخذوا بالأسباب، الفقير

يحُسن الظن بربه أنه لن يتخلى عنه وسيرزقه قوت يومه، المريض يُحسن الظن بربه أن الله سيشفيه ويمن عليه بالصحة... إلخ. فكل القلق الذي نعانيه في الحياة من الخوف على المستقبل وراءه الشيطان الذي يعمل ليرى المسلم تعيساً في حياته الدنيا ومن ثم يضيع في الآخرة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إن من حُسن عبادة المرء حُسن ظنه بالله". (رواه الإمام أحمد)

عن جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي يقول قبل أن يموت بثلاثة أيام وكان ذلك آخر ما سمعته من رسول الله، سمعته يقول: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله".

كلمة "الظن" في اللغة لها معنيان متناقضان، الأول معناه "اليقين" كما في قول الله تعالى: قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. (البقرة:٢٤٩) معنى يظنون في الآية "اليقين". المعنى الآخر لكلمة الظن عكسي هو "الشك" يقول الله تعالى: وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ. (الأحزاب: ١٠)

تفسير هذا التناقض في أن الكلمة تحمل معنيان متناقضان هو أن هذه الكلمة يتم تأويلها على حسب ما يجد المسلم في قلبه في التعامل مع الأمور. إذا ظن المسلم بالله ظن حسن يكون معناها "اليقين" وإذا ظن أن هناك شك يكون معناها "الشك".

من هنا نقول أن حُسن الظن لابد له من خطوة، أسعى للبحث عن عمل وأحسن الظن بالله أنه سيرزقني، أجتهد في الدراسة وأحسن الظن بالله أنه سيرزقني النجاح أتصدق وأصلي وأحسن الظن بالله أنه سيدخلني الجنة أدع الله وأحسن الظن أنه يستجيب وهكذا. هنا تتوازن الحياة وتستقيم ويعيد المسلم لحياته عبادة قلبية وقيمة روحية عظيمة.

المستوى الثاني من حُسن الظن هو "حُسن الظن في الآخرين"[xiv]:

ومن احترام الآخر عدم إساءة الظن به بناءاً على أفكار مسبقة عنه يُحْتَمَلُ عدمُ صحتها، فما يترتب على مجرد الظن والوهم ودون تثبت يسيء للآخر، ويحرمنا من التعرف عليه وعلى حقيقته.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ النبي صلى الله عليه وسلم : "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا". (رواه البخاري)

التَّجَسُّسُ وَالتَّحَسُّسُ : البَحْثُ وَالتَّطَلُّبُ لِمَعَايِبِ النَّاسِ وَمَسَاوِيهِمْ إِذَا غَابَتْ وَاسْتَتَرَتْ .

وفي ذلك يقول سبحانه تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ. (الحجرات: ٦)

وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ. (الحجرات: ١٢)

من الأسباب المعينة على حُسن الظن بالآخرين

هناك العديد من الأسباب التي تعين المسلم على إحسان الظن بالآخرين منها:

١) الدعاء

فإنه باب كل خير، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يرزقه قلبًا سليمًا.

٢) إنزال النفس منزلة الغير

فلو أن كل واحد منا عند صدور فعل أو قول من أخيه وضع نفسه مكانه لحمله ذلك على إحسان الظن بالآخرين، وقد وجه الله عباده لهذا المعنى حين قال سبحانه: لوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً. [النور:١٢]. وأشعر الله عباده المؤمنين أنهم كيان واحد، حتى إن الواحد حين يلقى أخاه ويسلم عليه فكأنما يسلم على نفسه: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ. [النور:٦١]

obeikandl.com

٣) حمل الكلام على أحسن المحامل

هكذا كان دأب السلف رضي الله عنهم. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملاً".

وانظر إلى الإمام الشافعي رحمه الله حين مرض وأتاه بعض إخوانه يعوده، فقال للشافعي: قوى الله ضعفك، قال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني ، قال: والله ما أردت إلا الخير. فقال الإمام: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير. فهكذا تكون الأخوة الحقيقية إحسان الظن بالإخوان حتى فيما يظهر أنه لا يحتمل وجها من أوجه الخير.

٤) التماس الأعذار للآخرين

فعند صدور قول أو فعل يسبب لك ضيقًا أو حزنًا حاول التماس الأعذار، واستحضر حال الصالحين الذين كانوا يحسنون الظن ويلتمسون المعاذير حتى قالوا: التمس لأخيك سبعين عذراً.

وقال ابن سيرين رحمه الله: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا ، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه. إنك حين تجتهد في التماس الأعذار ستريح نفسك من عناء الظن السيئ وستتجنب الإكثار من اللوم لإخوانك وهذه أخلاق المسلمين كما أرادها الله.

obeikandl.com

قيمة الصمت

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصمت".

قيمة الصمت قيمة أخرى هامة افتقدها المسلمون في يومنا هذا، فالصمت هنا يعني الصمت عن القول الجارح البذيء الذي لا طائل من ورائه سوى إثارة الأحقاد والضغائن وبث الكراهية، والتحدث بالخير وكل ما يجلب السلام.

هذا الحديث الشريف فيه دعوة إلى الكلمة الطيبة من ناحية ومن نحية أخرى تحذير من إطلاق اللسان فيما لا يرضي الله تعالى.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على بيان خطر هذه الجارحة (اللسان) فكم من كلمة أودت بصاحبها في نار جهنم، وكم من كلمة كانت سببا لدخول الجنة. وقد ثبت في البخاري ومسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم قال): "إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب".

فظاهرة انتشار الشائعات في المجتمع المسلم في يومنا هذا لا ترجع إلى سبب سوى إطلاق اللسان دون تفكير في عواقب ما ننطقه من كلمات، فبمجرد سماع الأخبار ننقلها ونتكلم دون تفكير وربما تكون الكلمة بمثابة الشرارة التي تُشعل نار الفتنة او الحرب أو الكراهية او أي شيء سلبي.

يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمِع". (بخاري ومسلم)

لقد وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن المسلم الذي يتحدث بكل شيء دون تفكير يكون مثل الكذاب لنه لا يتروى فيما يقولن فالمسلم لا يقول إلا خيراً.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟، قال صلى الله عليه وسلم:

"أمسك عليكَ لسانكَ وليَسعْكَ بَيتُك وابكِ على خطيئتكَ". (رواه أبو عيسى الترمذي)

فأما قوله صلى الله عليه وسلم "أمسك عليك لسانك" فهي نصيحة منه صلّى الله عليه وسلّم بتقليل الإنسان كلامه إلا في ما فيه خير، إذ اللسان نعمة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة.

من الأسباب المعينة على الصمت إلا في الخير

الانشغال بذكر الله

انشغال المسلم بذكر الله يحفظ لسانه من التحدث فيما يُغضِب الله، ولا ينطق إلا بالخير حتى وإن كان غاضباً، وبه يسلم دين الإنسان وإسلامه، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". (رواه الترمذي)

التفكير قبل النطق بالكلمة

الكلمة عندما تخرج فهي كالسهم تنطلق لتصيب، فعلى المسلم أن يتحكم في ألفاظه بالتفكير قبل النطق، ويسأل مع عواقب تلك

الكلمة، فإن كانت السلبيات أكثر من الإيجابيات فلا ينطق، وإن كان العكس فليقل.

عدم تناقل الأخبار إلا بعد التثبت منها

نهانا الإسلام عن التحدث دون تثبت حتى لا نتسبب في إهانة الآخر إذا كان الخبر غير صحيحاً، وهذا للأسف ما نجده في عالم الإعلام والصحافة سواء المحلية أو العالمية، فالكثير من وسائل الإعلام تسعى للربح على حساب أعراض الناس، فالإسلام يدعو إلى "تبينوا".

obeikandl.com

قيمة الإخاء

يمكن أن نسميها القيمة "الأم" لأنها تضم كل المعان السامية والقيم النبيلة، فإن الدواع القائمة على المنطق الحق والعاطفة السليمة تعطف البشر بعضهم على بعض وتمهد مجتمعاً متكافلاً تسوده المحبة ويمتد به الأمان على ظهر الأرض. والله سبحانه وتعالى رد أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين ليجعل من هذه الرحِم الماسة ملتقى تتشابك عنده الصلات وتستوثق. يقول تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. (الحجرات: ١٣)

فالتعارف-لا التنافر-أساس العلاقة بين البشر، من حق أخي في الإنسانية علي أن أبتعد عن مضرته وأن أبادر إلى دفعها، فإن مسه ما يتأذى به شاركته الألم وأحسست معه بالحزن، وهذا هو قمة التوازن في علاقات المسلم مع غيره من أبناء جنسه بغض النظر عن العرق والدين والثقافة.

وللمسلم على أخيه المسلم حقوق، فالمجتمع المسلم مجتمع تسوده الوحدة والتلاحم، هذه الوحدة هي التي تبعث على التراحم والتسامح والكرم والسلام فيما بيننا داخل المجتمع مصداق لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". (رواه البخاري)

أيضاً قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه بها كُربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة". (البخاري ومسلم)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا". (البخاري)

يقول الله تعالى في القرآن: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. (الحجرات: ١٠)

فالعلاقة بين المسلمين علاقة أخوة متينة تجعل من هذا المجتمع قوة فاضلة متحدة لا يفرقها أي شيء، المجتمع المسلم مجتمع يسوده الحب والسلام والتسامح والكرم بسبب هذا الأخوة.

لكن للأسف افتقدنا لذلك في يومنا هذا نتيجة لبعدنا عن هذه التعاليم الراقية السامية من الكتاب والسنة، فلابد أن نحي قيمة "الأخوة" بكل ما تحمله من معان ليعود لمجتمع قوته.

فائدة :

قيمة الإخاء قيمة جامعة لكل القيم الحميدة: الوفاء، القوة، الحلم والصفح، الجود والكرم، الاتحاد والرحمة.

obeikandl.com

قيمة تذكر يوم الحساب

يقول الله تعالى مخاطباً عباده: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ. (البقرة: ٢٨١)

هنا يتعين علينا أن نختم هذه الوصفة العلاجية لسوء الخُلُق بأن نُذكِر القارئ بأن هناك يوم هو "يوم الحساب" سيقف كل منا ليُحاسب أمام الله عن كل كبيرة وصغيرة فعلها في حياته: "وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا. (الكهف: ٤٩)

من خلال أهم القيم التي ذكرناها يجب على المسلم أن يتذكر أنه سيُحاسب على أخلاقه الطيب منها والخبيث. إن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان، والإيمان يحتم على المسلم أن يُحسِن من أخلاقه لأن حُسن الخلُق يرقى بصاحبه لأعلى درجات الجنة.

قال رسول الله (صلى اله عليه وسلم): "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة".

المسلم المتوازن هو من يضع الله نُصب عينيه في كل تصرفاته وأفعال فلا يحيد عن الصواب ويلتزم بالحق لأنه يعلم أنه محاسب.

فائدة :

الله مقصود الكل

ختاماً، يتبين لنا مما سبق بعضاً من الجوانب المشرقة والأخلاق الرفيعة، التي يدعو إليها الإسلام أتباعه ويحث على التمسك بها، فما أجمل أن نتخلق بها ونتخذها نبراساً ينير لنا الطريق .

obeikandl.com

الختام

أهداف التربية الأخلاقية في الإسلام[xv]

تهدف التربية الأخلاقية في الإسلام إلى:

١- إصلاح ما بين العبد وربه، سريرته وعلانيته.

٢- تكوين الرقيب الأخلاقي الذاتي.

٣- تقوية إرادة الفرد وإحساسه بالمسئولية الذاتية في تهذيب غرائزه ودوافعه.

٤- ترقية السلوك الإنساني وترشيده.

٥- تنشئة الفرد على الشعور بالمسئولية الخلقية تجاه الجماعة.

٦- تكوين الجماعة الفاضلة.

٧- تحقيق السعادة التامة للمسلم في الدنيا بتحقيق حياة كريمة للفرد مع الجماعة، وتحقيق سعادته في الآخرة بالمغفرة والرضوان وتحصيل الجنة. وهو غرض يميز التربية الأخلاقية الإسلامية عن مثلها في المفهوم الغربي الذي يقتصر على سعادة الدنيا فقط.

٨- مراعاة مفهوم البعث والحساب الأخروي يجعل المعيار الأخلاقي الإسلامي معيارا منضبطا ذا أسس واضحة، فإن الفعل الخلقي ليس له معيار واحد يرتضيه الجميع، ولكن تختلف معايير كل

obeikandl.com

عقيدة بحسب رؤيتها للكون والوجود. ولكن العولمة في العصر الحديث والتي تمثل معركة بين العالميات أو النماذج الحضارية المختلفة يود أصحابها أن يحددوا معيارا واحدا للمثل والقيم الأخلاقية يسير على نهجه الإنسان العالمي، وهي بذلك تؤثر على جوانب الحياة الخلقية تجاه النفس والآخر؛ لأن معيارها ليس منضبطا وليس فيه ثبات، فهو تارة تتخذ المجتمع وثقافته وحضارته معيارا، وتارة أخرى تتخذ العقل معيارا، مما يؤدي إلى سيطرة أخلاق الأقوياء على الضعفاء ولو كانت أخلاقا فاسدة. ويؤدي أيضا إلى غلبة نماذج معينة من القيم الأخلاقية وأنماط معينة من السلوك والذوق يقضي على شخصية الشعوب في الأقطار النامية ويجعلها ضحية الاغتراب الثقافي والتمزق.

obeikandl.com

الإشراف على السلسلة

الدكتورة/ نهى البسيوني

- **حاصلة على درجة الدكتوراة في الإدارة، تخصص تسويق.**
- **تعمل حالياً مدرس في مجال التسويق بالجامعة الألمانية بالقاهرة- مصر.**
- **في عام ٢٠٠٧، قامت بتأسيس مبادرة تهدف إلى التنمية والتربية الأخلاقية في الإدارة والتسويق www.ethicsbasedmarketing.net**
- **حاصلة على دبلوم الدراسات الإسلامية من المعهد العالي التابع لجامعة الأزهر، كم أنها حصلت على الإجازة في ختم القرآن وحفظه.**
- **في عام ٢٠٠٨، أنشأت مشروع وموقع "القائد المتوازن" بهدف خلق التوازن والاعتدال في حياة الفرد بطريقة جديدة تواكب متطلبات عصرنا الحديث والتعايش مع الآخر والاندماج بتوازن مع الثقافات الأخرى.**

obeikandl.com

المؤلف

أستاذة/ هبة صلاح

تخرجت في كلية الألسن جامعة عين شمس، حصلت على درجة الليسانس من قسم اللغة الإنجليزية في مايو من العام ٢٠٠٢م. تعمل مُترجِمة في مجال الترجمة الإسلامية والشرعية بدار الإفتاء المصرية وموقع القائد المتوازن. حاصلة على دبلوم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية من المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجامعة الأزهر، طالبة بمرحلة تمهيدي الماجستير كلية الألسن، جامعة عين شمس. شاركت في العديد من الندوات واللقاءات حول تقديم الصورة الصحيحة الوسطية للإسلام وبناء الشخصية ومهارات التربية.

www.dar-alifta.org

www.balancedleader.net

obeikandl.com

[i] محمد الغزالي، خُلق السلم-التمهيد، دار الريان للتراث-ط.الأولى ١٤٠٨-١٩٨٧.

[ii] د.إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك-دراسة ميدانية على عينة من طلبة الجامعات المصرية "رسالة دكتوراة"، دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

[iii] انظر نفس المرجع السابق.

[iv] د.إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك-دراسة ميدانية على عينة من طلبة الجامعات المصرية "رسالة دكتوراة"، ص٤٢، دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

[v] أنظر نفس المرجع السابق ص٤٤.

[vi] فضيلة الدكتور علي جمعة، برنامج التربية الأخلاقية في السنة النبوية، المقدمة ص٣، مؤسسة التعليم الأهلي.

[vii] فضيلة الدكتور علي جمعة، برنامج التربية الأخلاقية في السنة النبوية ص٤

[viii] د.إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك ص٤٩.

[ix] د.إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك ص٩٤.

[x] المرجع السابق ص٩٦.

[xi] المرجع السابق ص١١١.

[xii] مُحمد الغزالي، خُلُق المسلم.

[xiii] د.عمرو خالد، برنامج "رحلة للسعادة" حلقة حُسن الظن. (حلقة ٩).

[xiv] د.على جمعة، برنامج التربية الأخلاقية في السنة النبوية.

obeikandl.com